

### جذور وأصول الفكر الإبداعى (3)

مقتطفات: من كتاب "رباعيات..و..رباعيات"

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD050617.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/06/05  
السنة العاشرة - العدد: 3565



#### المقدمة

ما زلت أنتهز الفرصة التى منحتها لنفسى أن أوجز فى الوقت المخصص للنشرة اليومية، حتى أتمكن من الوفاء بما عاهدت ربي ونفسى به تجميع أعمالى فى نشر ورقى، شكرا..وبعد الحل الذى أمل ألا يقطعنى عنكم هو هذا الاقتطاف الموجز، مع التعقيب السريع - إذا لزم الأمر- مما أذفع به إلى المطبعة، مما قد يتيح فرصة لتسجيل تاريخ فكرى، وربك الماضى بالحاضر إذ يدعم فروضى الجارية حالياً

#### وبعد

نواصل اليوم المقتطفات من من نفس الكتاب النقدى الجارى طباعته: "رباعيات ورباعيات"، ولن ألترم بالترقيم المسلسل، لأن المقتطفات تنتقل من الكتاب الأسمى إلى ما يدعمها من خارجه، وبذلك سوف تكون كل نشرة قائمة بذاتها، فهى ليست موضوعاً واحداً مسلسلاً، ولا يجمعها إلا علاقتها بالفكر الإبداعى التطورى.

**المقتطف:** (1) من كتاب: "رباعيات ورباعيات" (2) 1982 (1) 1972

....."يعيش صلاح جاهين عمق الحزن وقمة الفرح فى نوبات معبّرة دالة، وهو يمارس هذه المشاعر فى أوج الصحة.. والفرق بين إطلاق الطاقة دون مرض، وانطلاقها عشوائياً دون حدود أو ضابط هو الفرق بين الإبداع والمرض، وفى طور الهوس مثلاً نجد أن الاهتمامات المتعددة لا تصل أبداً إلى أى هدف، أما فى حالة الصحة فهى اهتمامات وملكات تعيد تخليق الواقع وتمتلك قدرة إعادة التنظيم فى مثابة غائبة مبدعة.

وعلى الجانب الآخر فإن ثمّ فرقا هائلاً حتى التناقض، بين معاشة الألم مع الاستمرار فى مواجهة الحياة واختراق الصعوبات وبين الاستسلام للحزن مع الانهيار (3) الأول يمكن أن يكون قمة الصحة المتمثلة فى اختراق الصعوبات دون إلغاء معاشة الألم الخلاق، والثانى هو الهزيمة المتسببة.

ظهر هذا التناوب فى إبداع صلاح جاهين عامة، لكنه يظهر بوجه خاص فى "رباعياته" التى تمثّل جرعة مكثفة من فكر نابض، تكاد تقترب فى تكاملها من فلسفة حياة بأكملها، وهى تقى بإيضاح هذا التناوب، بين الإقبال والإدبار، أو بين الفرح والانقباض، أو بين الهوس والإكتئاب وهذا ما التزمت به هذه القراءة التى لا تكتمل إلا بالعودة إلى بقية إنتاجه.

يعيش صلاح جاهين عمق الحزن وقمة الفرح فى نوبات معبّرة دالة، وهو يمارس هذه المشاعر فى أوج الصحة..

الفرق بين إطلاق الطاقة دون مرض، وانطلاقها عشوائياً دون حدود أو ضابط هو الفرق بين الإبداع والمرض

ثمّ فرقا هائلاً حتى التناقض، بين معاشة الألم مع الاستمرار فى مواجهة الحياة واختراق الصعوبات وبين الاستسلام للحزن مع الانهيار

الأول يمكن أن يكون قمة الصحة المتمثلة فى اختراق الصعوبات دون إلغاء معاشة الألم الخلاق، والثانى هو الهزيمة المتسببة

يبدو هذا المدخل للتعرف على طبيعة النفس البشرية من خلال الأعمال الأدبية كان هاجسا ملحما منذ بدأت ممارسة النقد الأدبي بانتظام، وهو المنهج الذى اسميته، كما ذكرت أمس "التفسير النفسى للأدب" وأعتقد أنه كان ومازال من أهم مصادرى وقد هدانى إلى كثير من معالم الفطرة البشرية، وقد شرحت ذلك تفصيلا فى أطروحات مستقلة

### **المقتطف (2): (من كتاب "رباعيات ورباعيات")**

....." يعلن صلاح جاهين موقفه الوجودى الحائر بشكل مباشر، فى كثير من إبداعاته، وليس فقط فى الرباعيات، فيبدو وهو يدافع - بإبداعه - عن قضية وجوده، بكل الصور، وكأنه يدفع تهمة لا يعرفها، فنراه فى "قصاقيص ورق" فى موقف الاتهام، يطلق غناه وأنيبه وهو يدافع عن جريمة لا يعرف أبعادها ولا دوره فيها، وكأنه مسئول عن ذنب وجوده الذى لم يختره، وهو لا يجد تفسيراً لهذا "الشعور بالذنب" الذى يدفعه إلى "المرافعة" .. الباكية مرة:

### **مؤيد بكل أنين الكمنجات فى كل الوجود**

العذبة البريئة حيناً:

بتهنية الأمهات للعيال فى المهود

المرحة المنطلقة تارة أخرى:

بصوت القُبل.. وكل ابتسامه بحق وحقيق

فهو يحس أنه فى حياته مهاجم بغير ذنب، متهم بغير تهمة، أمام أسياد وهميين يريدون نهش لحمه:

سيادى الحدادى اللى حايمه على رمى

ولعل هذا الموقف هو الدافع الأصيل وراء انطلاقه فى كل هذا الإنتاج الفنى الوفير؛ ليواصل معركة الوجود، فهو إما أن يعبر عن صراعاته بهذا الأسلوب، وإما المرض، لذلك نجده يؤكد أهمية التنقيح بالكلام.. وإلا.

ده اللى ما يتكلمش ياكثر همهُ

وهو يحذرنا من ترددنا عن الإفصاح عن نشيجنا الداخلى بالغناء

ياعدليب ما تخافش من غنوتك

كتم الغنا هو اللى حيموتك

هذا هو ما فعله صلاح، وإن كان يبدو أنه لم يُغنيه بدرجة كافية، إن ما يعنيه صلاح هنا بالغناء، إنما يشمل التعبير والإبداع والتناغم معاً، وهذا هو المخرج الحقيقى السليم لزخم الطاقة الذى تتفجر به النفس، ونكرر من جديد أننا ما لم نجد أسلوباً مناسباً ومجالاً كافياً ومتلقياً معاً لثقلات هذه الطاقة الحيوية المتدفقة التى تتجمع فى أروع صورها فى الإبداع، وكأنها تجمع خصلات الإشعاع فى بؤرة هذا التخلُّق الجديد، فإن مصير هذه النوبات هو التشتت بغير نظام، والضغط بغير توجيه فهو المرض.

واختزال الإبداع باعتباره حلاً لصراع نفسى، هو تسطيح لا يقدم تفسيراً مناسباً لزخم الإبداع ودوره فى إعادة تشكيل الحياة، وصلاح، - مثلاً، لا يستعمل إبداعه لمجرد حل الصراع، أو تفرغ طاقة

"..... يعلن صلاح جاهين

موقفه الوجودى الحائر بشكل

مباشر، فى كثير من

إبداعاته، وليس فقط فى

الرباعيات، فيبدو وهو يدافع

- بإبداعه - عن قضية

وجوده، بكل الصور، وكأنه

يدفع تهمة لا يعرفها

يدافع عن جريمة لا يعرفه

أبعادها ولا دوره فيها،

وكانه مسئول عن ذنب

وجوده الذى لم يختره، وهو

لا يجد تفسيراً لهذا "الشعور

بالذنب" الذى يدفعه إلى

"المرافعة" .. الباكية مرة:

ياعدليب ما تخافش من

غنوتك

كتم الغنا هو اللى حيموتك

هذا هو ما فعله صلاح، وإن

كان يبدو أنه لم يُغنيه

بدرجة كافية، إن ما يعنيه

صلاح هنا بالغناء، إنما يشمل

التعبير والإبداع والتناغم معاً،

وهذا هو المخرج الحقيقى

السليم لزخم الطاقة الذى

تتفجر به النفس

محبوسة، وهو لا يهدف بإبداعه أن يقوم بوظيفة التطهير التي بالغ في وصف أهميتها أرسطو؛ ذلك أن الإبداع ليس مسألة تفرغ أو تنفيث مثل صمام إنباء البخار، وإنما هناك حاجة أصيلة في الكيان البشري يمكن أن نطلق عليها: الحاجة إلى الإبداع، حاجة تلح في التعبير في أية صورة من الصور بالأداة المتاحة، وإبداع صلاح، في الرباعيات بوجه خاص، يسرى عميقاً، رصينا، رائقاً في آن، حتى يبدو أنه يروى وجودنا مثلما تنوب الثلوج في عروق الماء المنساب بين صخور الجبال؛ لتكون السيل المتجمع في نهير جميل، يصبح مصدراً لريِّناً، فنبدع بدورنا ما نستطيع، ونحن نتلقاه.

هيا نسمعه معا وهو يشير إلى القصيدة التي ينوى أن يكتبها، القصيدة التي تلوح له حتى يكتبها، التي تلح عليه أن يكتبها؛ ثم إنه بكل سلاسة الوجود، يكتب بإعلان هذا التهيؤ الجاهز، ثم يعفى نفسه من قهر الالتزام بكتابتها:

ح اكتبها وان ما كتبتهاش أنا حر

الطير ماهوش ملزوم بالزقرقة.

والقصيدة تقول من البداية:

في يوم من الأيام راح اكتب قصيدة

عن قطتي، عن الكمنجة الشريفة

عن نخلتين فوق العلالى السعيدة

عن العنب عن الهدوم الجديدة

عن طفل بقميص نوم

عن قوس بعد الصلا في العيد

عن طرطشات البحر ح اكتب يوم

ح اكتب قصيدة

ح أكتبها وإن ما كتبتهاش أنا حر

الطير ما هوش ملزوم بالزقرقة

هنا تفرقة واضحة بين "كتم الغنا هو اللي حيموتك" وبين "الطير ماهوش ملزوم بالزقرقة"، مع أن كلا منهما يشير إلى وظيفة تدفق الإبداع بشكل يتجاوز مجرد التفرغ والتطهير، حتى لو لم يظهر مباشرة في الشكل الواحد به.

### التعقيب (2017)

دلالة هذا المقطف في علاقته بالطبفسى الإيقاعى التطورى هو أن هذا الأخير يركز على أن الإبداع أعمق وأهم وأكثر دلالة من أن نقصره على ناتجه في صورة الرمزية المعلنة سواء في صورة شعر أو أدب أو علم أو حتى حضارة، الإبداع من منظور إيقاعى تطورى هو برنامج حيوى بقائى أصيل، وهو البرنامج هو الذى أبقى الحياة حتى الآن، وهو الذى طورها نوعا بعد نوع بفضل خالقها وخالق وخالق وواضع و منظم برامجها.

حين يهم صلاح بكتابة قصيدة، فيكتبها جميلة كاملة كما أظهر المقطف ثم لا يكتبها أصلا، فهو

أن الإبداع ليس مسألة تفرغ أو تنفيث مثل صمام إنباء البخار، وإنما هناك حاجة أصيلة في الكيان البشري يمكن أن نطلق عليها: الحاجة إلى الإبداع، حاجة تلح في التعبير في أية صورة من الصور بالأداة المتاحة،

أن الإبداع أعمق وأهم وأكثر دلالة من أن نقصره على ناتجه في صورة الرمزية المعلنة سواء في صورة شعر أو أدب أو علم أو حتى حضارة

الإبداع من منظور إيقاعى تطورى هو برنامج حيوى بقائى أصيل، وهو البرنامج هو الذى أبقى الحياة حتى الآن، وهو الذى طورها نوعا بعد نوع بفضل خالقها وخالق وواضع و منظم برامجها.

يقدم لنا ما تعلمنا أن المسألة ليست كتابة قصيدة بذاتها أو قرص شعر أو رسم تشكيلي وإنما هي طبيعة فطرية أصيلة يمارسها الطير وهو يطير وحده وهي يطير مع أفراد نوعه، وهي يسبح في الطبيعة ويحافظ على بقاءه، وهو يكمن في عشه، وهو يزقزق أو لا يزقزق، الطير يكتب قصيدته بمشاركته الإيجابية مع نوعه فيبقى ضمن نوعه، ولعل هذا هو المنطلق الذي كتبت من خلاله فرضي الأساسي عن الأحلام وأنها هي "إبداع الشخص العادي" (مجلة فصول سنة 1985 (4) وأنا لم أربط بين مشاهدتي لجموع (وفرادى) عصافير ما قبل الشروق وهو ما أثبتته في نشرة السبت الماضى وأنا فى مخيلتى هذا الذى قاله جاهين فى هذه القصيدة الرائعة التى كتبت حين لم تكتب، لكننى فرحت بها حين وصلت إلى فى هذه اللحظة تظمئننى إلى مصادرى.

علاقة هذا العمل الحالى (رباعيات ورباعيات) لا تقتصر على إظهار مدى ارتباط شعر الرباعيات بالذات الإيقاعى على كل مستويات نبضات الوجود، وإنما هي تكشف لنا عن أبعاد بالغة الدلالة تسهم فى تصحيح مفاهيمنا عن الإبداع، ومن ثم عن المرض النفسى.

إن اختزال وظيفة الإبداع إلى مجرد تفريغ الطاقة، فى إنتاج مرموز محدد خارجنا، يكاد يقابل ما عارضته من اختزال الحلم إلى تفسيره، وايضا من اختزال المريض إلى تشخيصه،

وأىضا إن اختزال مسارات الطاقة البشرية إلى إنجازات سلوكية مهما كانت إيجابية، هو تجاوز لجوهر أصل وجودها طاقة تمثل الحياة ذاتها قبل ناتجها،

وهذا ما سوف نعود إليه مرارا من خلال هذا العمل وغيره

.....

### وإلى الأسبوع القادم مع نفس العمل

– [1]مجلة الصحة النفسية (لم أعثر على رقم العدد حاليا) ، وقد أعيد نشره فى كتابي: "حياتنا والطب النفسى" سنة 1972 دار الغد للثقافة والنشر

– [2]مجلة الإنسان والتطور الفصلية: عدد يناير 1982 مجلة الإنسان والتطور

– [3]الانهباط: هى الكلمة التى اقترحها الأستاذ المرحوم أ.د. عبد العزيز القوصي؛ لتكون بديلاً عن كلمة الاكتئاب؛ حتى لا نستعمل الكلمة نفسها فى السواء والمرض، بمعنى أنه إذا وصل الاكتئاب إلى درجة مرضية، سمى انهباطاً، وهكذا نحفظ للاكتئاب حقه فى التواجد كحالة سوية.

– [4]يحيى الرخاوى: "الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع" مجلة فصول (النفذ الأدبى) المجلد الخامس

– العدد (2) سنة 1985(ص 67 - 91) وقد تم تحديثها فى "كتاب حركية الوجود وتجليات الإبداع" المجلس الأعلى للثقافة 2007 دون مساس بجوهرها.

أن المسألة ليست كتابة قصيدة بذاتها أو قرص شعر أو رسم تشكيلي وإنما هي طبيعة فطرية أصيلة يمارسها الطير وهو يطير وحده وهي يطير مع أفراد نوعه، وهي يسبح فى الطبيعة ويحافظ على بقاءه، وهو يكمن فى عشه، وهو يزقزق أو لا يزقزق

إن اختزال وظيفة الإبداع إلى مجرد تفريغ الطاقة، فى إنتاج مرموز محدد خارجنا، يكاد يقابل ما عارضته من اختزال الحلم إلى تفسيره، وايضا من اختزال المريض إلى تشخيصه



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسانية العربية

معاً ... نذهب أبعد

مركز بحوث الأبحاث والدراسات النفسية

وقس نفسك من أمة نهر زبون